في استذكارهم للذكرى الخامسة لسقوط الطاغية

سياسيون : ما تحقق كان مهماً والمستقبل مشرق أمام العراقيين

بغداد/ نصير العوام

يستذكر السياسيون العراقيون الذكرى الخامسة لسقوط النظام السابق، اذ اكد عدد منهم تفاؤله بمستقبل العراق بعد ٥ سنوات مشيرين الى ان هناك آمالاً كبيرة في استقرار العراق بعد انجلاء الديكتاتورية وتحقق القدر الكبير من الحرية ودولة المؤسسات والتطور الاقتصادي والتقدم الثقافي والاهم رجوع الناس الى حكم انفسهم.

قالت النائبة المستقلة صفية طالب السهيل انه بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهتها العملية السياسية خلال خمس سنوات من سقوط النظام السابق، الا ان هناك خطوات ايجابية تحققت على ارض الواقع .

واضافت السهيل لـ(المدى): ان الارهاب الذي تغلغل في العراق اخر مسيرته نحو الديمقراطية والبناء والاعمار، باثارته الفتنة الطائفية واشاعته اساليب القتل والتنكيل والممارسات غير الانسانية. وتابعت: لو قارنا السنوات الاولى بعد سقوط النظام السابق، وبين ما يحدث الان، لرأينا ان هناك تحولا كبيرة على جميع الاصعدة اولها الصعيد الامني الذي باتت ملامحه واضحة.

واوضحت السهيل بقولها "صحيح اننا لم نحقق الكثير لكننا حققنا خطوات ايجابية كبيرة مهدت لمستقبل عراقي مشرق، بترسيخ مبدأ الديمقراطية، وتحقيق الانتخابات وكتابة دستور عراقي بأيدي ابنائه". وعبرت عن املها "بان تشهد السنوات المقبلة القضاء الكلي على الارهاب والقوى التي تريد الإضرار بالعراق ، وان تكون سنوات للاعمار والبناء والتنمية.

فيما قال النائب عباس البياتي ان هناك تداعيات سلبية للحرب في العراق مثل القضية الامنية والتطاحن الطائفي ومسألة انتقاص السيادة ووجود قوات اجنبية في بلدنا .

واضاف البياتي لـ(المدى): بعد خمس سنوات من سقوط النظام ظهر جانب مشرق تحقق للعراق وهو حريته وتحرر ارادته، وشاهد لأول مرة في تاريخه التداول السلمي للسلطة وحكومات تعاقبت على حكم العراق في اقل من خمس سنوات ".

واشار الى "ان تدويل المسألة العراقية لم تكن بإرادة عراقية بل بسبب احداث يتحملها النظام السابق مثل غزو الكويت ودخولنا في الفصل السابع".

وتطلع البياتي الى ان "يتم استكمال سيادتنا وامتلاك قرارنا ونتمكن من انهاء وجود القوات الاجنبية وتوفير المزيد من الامن و الخدمات".

كما قال النائب كمال الساعدي النائب عن الائتلاف العراقي الموحد ان سبب الارتباك السياسي الذي حصل بعد سقوط النظام السابق يعود لتناقضات المجتمع العراقي وطبيعة الظلم السابق والارهاب السائد ووجود قوات الاحتلال وكذلك التدخلات الاقليمية.

واضاف لـ(المدى) كل هذه عناصر ليس لدينا يد فيها وقد فرضت علينا. مشيرا الى أمله في استقرار العراق بعد خمس سنوات من سقوط النظام السابق. وتابع: تحقق الكثير وبقي الكثير ايضا.. فقد تحقق القدر الكبير من الحرية ودولة المؤسسات والتطور الاقتصادي والتقدم الثقافي والاهم رجوع الناس الى حكم انفسهم". واضاف انه "بقي لدينا الكثير من العمل مثل الخدمات وتحسين الاجور وتحسين الاوضاع الاقتصادية للناس وبناء البنية الاساسية للبلد".

من جهته جدد التيار الصدري مطالبته بخروج القوات الامريكية من البلاد واصفا اياها بانها لم تجلب سوى الدمار والدماء والفتنة الطائفية.

وقال لواء سميسم رئيس الهيئة السياسية للتيار الصدري في تصريحات صحفية ان هذه القوات لم تجلب لنا منذ دخولها الى البلاد وحتى هذه اللحظة الا الدمار والإرهاب والدماء واشاعة الحرب الطائفية بين ابناء البلد الواحد على قاعدة فرق تسد.

واضاف "نحن منذ اليوم الاول للاحتلال طالبنا بخروج القوات المحتلة واليوم وبعد مرور خمس سنوات على ذلك نجدد مطالبتنا بخروج القوات الامريكية وباقي القوات الاجنبية المحتلة من البلاد لانها قوات غازية لا تطبق الشعارات الواهية التي رفعتها من ديمقراطية و حرية بل هي تطبق العكس تماما".

الناطق المدني باسم خطة فرض القانون تحسين الشيخلي قال:استطعنا ان نوقف الهجمة المعادية التي كانت تريد النيل من وحدة العراق بعد خمس سنوات من سقوط النظام السابق

واضاف لـ(المدى): بعد سقوط النظام السابق كان من المفروض ان تكون هناك وحدة وطنية في الخطاب السياسي لإنهاء عملية الاحتلال، ولكننا وجدنا ان الجميع يعمل باتجاهات مختلفة اثرت في المسيرة. مشيرا الى "ان مشروع المصالحة الوطنية مشروع اصلاحي جاء منسجما مع المرحلة التي كانت تتطلب قرارات سريعة وناجعة ".

ودعا الشيخلي الى "العمل الان على المستوى السياسي، وان الوقت قد حان لذلك بعد ان حققنا المصالحة الشعبية من خلال تحسن الامن".

فيما دعا النائب خلف العليان عن جبهة التوافق العراقية الى بناء مشروع وطني يعمل على اخراج القوات الامريكية من العراق لانها العامل الاساس في مشاكل العراقيين حسب وصفه.

وقال العليان لـ(المدى) ان العراق يمر بعد خمس سنوات من احتلاله من قبل القوات الامريكية بأسوأ مراحله. واضاف: ان الوضع في العراق مازال خطرا وهشا وما زالت المنظمات الارهابية و دول الجوار تمارس افعالها الشنيعة بحق العراقيين دون ان يكون هناك أي دور للقوات الامريكية. مشيرا الى ان القوات الامنية العراقية مازالت لا تمثل كل مكونات الشعب العراقي لانها مازالت تغض النظر عن بعض العمليات التي تقوم بها المنظمات الارهابية التي تمولها الاجندات الخارجية.

واوضح العليان: ان احتلال القوات الامريكية للعراق لم يلحق بالعراقيين الا الخراب والدمار وتجسد هذا في حلها للاجهزة الامنية والعسكرية وفتح الباب امام ايران للسيطرة والتحكم في العراق" .

من جهته اكد عضو الكتلة العربية للحوار الوطني محمد الدايني ان العراق بعد مضي خمس سنوات على احتلال العراق لم يحصد سوى القتل والتهجير وغياب الامن والقانون وانتشار المليشيات. وقال الدايني لـ(المدى) انه: في الوقت الذي تطالب به الولايات المتحدة دول الجوار بعدم التدخل في الشأن العراقي وضرورة الالتزام بالقانون الدولي الا انها اول من خرقت وتجاوزت القانون والشرعية الدولية عندما اقدمت على احتلال العراق العضو في عصبة الامم المتحدة.

واشار الدايني الى "ان الادارة الامريكية لم تكن لديها أي خطة للسيطرة على الوضع الداخلي بل انها قامت بحل المؤسسات الامنية والعسكرية التي كانت تحافظ على الامن والاستقرار في البلاد وسمحت للمليشيات بموجب هذه الاجراءات ان تعبث بأمن العراق والمواطن.

فيما ابدى النائب الشيخ حميد معلة عن كتلة الائتلاف العراقي الموحد تفاؤله بمستقبل العراق بعد ٥ سنوات من الغزو الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق.

وقال معله لـ(المدى) ان "هناك آمالاً كبيرة في استقرار العراق وتحسن اوضاعه الامنية" مبينا ان "الفترة المقبلة ستشهد خروج البلاد من البند السابع ".

واشار معلة الى "ان الآمال كبيرة في استقرار التشكيلة الحكومية وايجاد المصالحات السياسية بين الفرقاء السياسيين الامر الذي سينعكس ايجاباً على الاوضاع في الساحة العراقية". وذكر "من الناحية الاقتصادية هناك تصاعد في ميزانية الدولة واستثمارها في المشاريع العمرانية واعادة تأهيل البنى التحتية في العراق".

كما قال النائب اسامة النجيفي عن القائمة العراقية الوطنية ان الوضع الامني شهد بعد مرور خمس سنوات على احتلال العراق تقدما وقتيا.

واضاف النجيفي لـ(المدى) ان الوضع الامني هش وضعيف وقابل للانفجار في اي وقت. واوضح النجيفي "ان هناك اختراقات امنية كبيرة مثل ما حصل في محافظات كربلاء والبصرة وواسط ". وتابع "علينا ان نعالج الوضع السياسي المربك منذ خمس سنوات وخلق الاستقرار الامني".

اما رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الشيخ همام حمودي قال ان العراق قد تجاوز المنعطفات الكبيرة والخطيرة في الوضع الامني وان الصورة المستقبلية للعراق الجديد بدأت معالمها تتوضح اكثر.

وشدد حمودي في تصريح لـ(المدى) على الدور الايجابي الذي تضطلع به الحكومة في تعزيز الصمود واداء الواجبات برغم العقبات والمشاكل التي احاطت بالحكومة العراقية.

وتابع "هناك شعور بضرورة انجاح تجربة العراق السياسية، مشيرا الى ما تم تحقيقه على مستوى المصالحة الوطنية او انجاز القوانين المهمة ومنها العفو العام والمساءلة والعدالة وقانون المحافظات غير المنتظمة بقانون".

واوضح ان الوضع الامني في تحسن بشكل عام وبدأت رحلة فرض القانون تأخذ مسارها من محافظة الى اخرى بعد ان نجحت خطة فرض القانون في بغداد.

وفي جانب القوات الامريكية قال المتحدث الرسمي باسم القوات متعددة الجنسية الاميرال باترك درسكول ان قواته تحاول معالجة الاخطاء التي وقعت بها خلال السنوات الخمس الماضية.

واضاف درسكول الذي سيتولى المهام خلفا للاميرال غريغوري سمث رئيس قسم الاتصالات والمتحدث الرسمي باسم القوات في تصريح لـ(المدى) أن معالجة الاخطاء ليست بالسهلة". مؤكدا "عدم وجود حلول سهلة لمعالجة الاخطاء وان القوات متعددة الجنسية تسعى لاعادة الامن الى العراق بشكله الطبيعي".

واشار درسكول الى "ان هناك عدة عوامل سلبية وايجابية خلال السنوات الخمس الماضية والسلبية منها نحتاج الى وقت للتخلص منها واهم تلك العوامل تنظيم القاعدة الذي اضر بالعراقيين كثيرا ".

درسكول الذي لم يوضح العوامل السلبية والاخطاء التي وقعت بها الولايات المتحدة عند غزوها العراق اكتفى بالقول "معظم العراقيين كانوا يريدون التخلص من صدام ونظامه وهذا ما استطعنا ان نحققه". بيد انه اكد "ان اية دولة تدخل حرب لاتعرف الى اي طريق ستأخذها الحرب، لكننا واجهنا في العراق بعد الحرب تنظيم القاعدة الذي لا يريد للعالم العيش بسلام".

بعد خمس سنوات من سقوط الدكتاتورية

محاولة لاستعادة اللحظة التاريخية

محمد الغزي

يبدو انه من الناحية العسكرية لم تسقط بغداد كما ذكرت بعض وسائل الاعلام آنذاك فليس هنالك اسوار انهارت ولا قلاع اخذت عنوة بيد ان ماحدث في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ حيث اصبح الامريكيون فجأة في كل مكان في بغداد .. ان العراقيين رفضوا القتال خلف قائد جلب لهم الويلات واسرف في خوض الحروب .

فأصبح تأرجح تمثاله الذي شد بحبالهم هو السقوط الرمزي للنظام وليس المدينة.

كانت هذه المرة الاولى التي شد فيها تمثال لصدام ولكنها لم تكن المرة الاخيرة، ولن تكون الاخيرة بالتاكيد التي يشد فيها تمثال دكتاتور ليس في العراق فحسب، بل في كل مكان في الارض .

ان نظرة واحدة لهذا التمثال الضخم الذي تم تشييده في مكان الجندي المجهول قبل عام واحد فقط من سقوطه وهو محاط بعدد من الاعمدة التي تشير الى ميلاد صدام ، توضح ان ميلاد العراقيين الجديد قد ابتدأ بسقوط النظام الرمزي.. الامر الذي اعطاه وقعا خاصاً .

وتعدى ذلك السقوط الذهول الذي أصاب من أسطروا السياسيات الفردية والكاريزماتية وهم يشهدون انهيار نظام دولة أجوف بهذه السهولة، ومثل نمر من ورق .

تحكي لي صديقة، كنت قد تعرفت عليها بعد دخول الجيش الامريكي الى بغداد، وتدعى ماندي فهمي انها مستغربة لسقوط النظام المباد بهذه الطريقة المهينة.

وتتابع ماندي وهي صحفية امريكية من اصل مصري :(ان تكون امريكيا فهذا يعني لشباب امريكيين ان تكن الود لقوات المارينز، وتحترم العلم الامريكي الذي يرفرف فوق حاملة الطائرات ولبعض آخر نصب الحرية ولآخرين الكاوبوي ولآخرين هوليوود وعند آخرين ماكدونالد ولآخرين شركات ميكروسوفت او ربما شركات الاستثمار العملاقة) .

أما انتم العراقيون فكان نظامكم شموليا جعل من صدام إلهاً فمن الطبيعي ان يتحول هذا التركيز الى الجمهور الغاضب الذي بدا يركل تمثاله ويلعن زمانه وبدا فرحه بالتحرير من حكمه عارما.

لم تع ماندي برغم دقة تحليلها ان العراقيين كانوا يركلون ثلاثة عقود من الاضطهاد والتغييب القسري والالغاء في جسد لا حياة فيه .

هذه الصورة تراها في نعل رجل عراقي بدأ يضرب صورة صدام مراراً .. ربما بعدد ايام قهره، حتى صار نعله أغلى من تماثيل صدام جميعها .

وهكذا صار تاريخ التاسع من نيسان/ ابريل من عام ٢٠٠٣ ميلادا جديدا للعراقيين بعد مخاض دام ثلاثة أشهر على بداية العام الاعتيادية في الاول من كانون الثاني ٢٠٠٣ وإعلان قرار حرب الإطاحة بصدام ، وبعد مخاض استمر عقدا كاملا ربما ، لمن يرون بان السقوط جاء نتيجة لحصار دام نحو عشر سنوات كان صدام احد أسباب دخول البلاد تحت طائلته .

العراق الآن، يعيش بداية العام الخامس بلا صدام وبات يعيش مرحلة جديدة اطلق عليها (عراق ما بعد صدام)، لكنه أيضا عراق الانطلاقة الجدية التي يأمل الجميع ان تكون مصحوبة بتوقف العنف الذي انحرف باللحظة التاريخية التي كان ينتظرها العراقيون طويلا .

قبل تلك اللحظة التي حلم بها الملايين كان صدام يعيش ونظامه المباد حياة مسرفة في الترف في الوقت الذي ترك فيه الشعب العراقي يتحمل مشاق البنية التحتية المهدمة والخدمات الاساسية المحطمة جراء عقود من الإهمال المؤذي وسوء الإدارة الذي استشرى في كل مفاصل الحياة .

(مدننا مزبلة العاصمة ، والعاصمة مزبلة الحي الذي يسكنه القائد الضرورة والحي الذي يسكنه القائد الضرورة كان مزبلة قصره ... هكذا يصف العراقيون حالهم في معظم مدن الوطن النائية وقراه الفقيرة) .

لقد حرم العراقيون الذين لم تكن لهم حظوة عند النظام المباد من ابسط الخدمات العامة ... كان الجوع والحرمان من الخدمات الأساسية سلاحين استخدمهما الطاغية ضد شعبه .

ونتيجة لذلك عانى كردستان العراق وجنوبه وعدد كبير من مناطق ومحافظات وسط وغربي العراق من شحة كبيرة في الكهرباء والماء والرعاية الصحية ومرافق التعليم والموارد الحيوية .

يقول رئيس العراق الحالي المنتخب جلال طالباني (نفذ العفالقة وعيدهم وحولوا البلاد الى تراب خالية من ابسط الخدمات ومهدمة بنيتها التحتية) .

يشير طالباني من خلال حديثه هذا الى ان تحديث البنية التحتية العراقية سيستغرق سنوات عدة في أعقاب عقود من الإهمال التام لها من قبل صدام .

ارتبط انهيار نظام صدام بمسألة وجود الدولة أصلا وولاء الجيش وميزان القوى القائم والأفق الذي يتيحه، وبلا شك كان كل من الدولة والجيش في حالة يرثى لها فضلا عن موقف الجماهير منهما .

تلك العلاقة كانت سببا في تفجر الطاقة الجماهيرية الهائلة بعد سقوط النظام والتي لم يكن ممكنا أن تتفجر في ظله بخاصة بعد عمليات البطش التي أقدم عليها مطلع عقد التسعينيات بيد انه وحالما كُسرت قيود الدولة بانكسار الأخيرة تفجرت الجماهير باتجاهين ، كان الأول داخليا متمثلا كقوى اجتماعية متصارعة سرعان ما قمع ، الاستبداد حينا واشتراكها في مستقبل واحد حينا آخر ، صراعها، فيما تمثل الثاني بمفهوم المقاومة المضلل لما سوّق بأنه احتلال ، والاتجاهان تبادلا التأثير والتأثر .

صاحب ظهور هذين الاتجاهين اندفاع حشود الجماهير في فورة شعبية بدت ، وكأنها ردت فعل غير منضبطة شوهت مشهد التغيير ، لتبدأ عملية نهب واسعة لمؤسسات الدولة ، باتت عنوانا لفوضى ما إن انطفأت حتى عادت ثانية مصاحبة ظهور ادنى ازمة طوال الخمس سنوات الماضية وان بمستويات لا تقاس بالطبع مع انفجارها الأول والسبب كان الحرمان الذي دام أجيالاً .

في ظل ذلك وبينما كان الانحراف باللحظة التاريخية ماضياً في طريق بعيد عن مسارها المأمول نشأ صراع جديد تمثل في تفكيك الهويات القائمة وصناعة هويات جديدة ، وهنا تمظهر الصراع الطائفي متخذا إما شكلا من ولاء او ما سمي بأنه مقاومة للمحتل .

أسهم الامريكيون نفسهم ، والذين كانوا سببا رئيسا في سقوط نظام صدام بلا أدنى شك ، أسهموا كذلك في انحراف اللحظة التاريخية تلك ، بأخطاء غير قليلة ، كان اكثرها جسامة فرض الاحتلال بقرار من مجلس الأمن، بديلا عن حكومة وطنية انتقالية ، وليس آخرها لجوء الحاكم المدني بول بريمر الى حل الجيش فيما وصف بأنه إصدار شهادة وفاة لميت ان جاز التعبير .

وتجسدت أخطاء امريكا ، وفقا لتوصيف رئيس اقليم كردستان العراق مسعود بارزاني ، بعجزها عن تطويع الزمن المكثف الذي أعقب السقوط المدوي للنظام لإقامة حكومة وطنية انتقالية على قاعدة سياسية واسعة .

الامريكيون الذين خدعهم الانتصار السريع ، او بمعنى أدق ، انهزام عدوهم السريع ، اساؤوا إدارة الأزمة لتستمر المعاناة حتى يومنا هذا ، على الرغم من جهود سياسيين عراقيين حملوا هماً وطنيا حقيقيا، وذهبوا في محاولة للنأي بانفسهم عما حصل واصفين التقدم السياسي في العراق بانه "بطيء ومتقطع وسطحي" متناسين كونهم سببا في ذلك البطء .

هل العراق بحاجة الى نقد ذاتي الآن ، وبمن يبدأ ذلك النقد ، هل ينبغي نقد النخب الثقافية التي آثرت الانزواء وعدم الاسهام بفاعلية في تصويب ما حدث، أم نقد النخب السياسية التي اسهمت بسلبيتها بظهور ديمقراطية العنف التي كانت سببا في ظاهرة العنف بشكلها الأعم والعودة الى ممارسة قوى تفتيتية استبداداً، شظت خلاله المجتمع وقادته الى شفا حرب أهلية في الوقت ذاته ، دفع البعض لان يشتاق البعض الى الاستبداد وحده؟!

(السلام في بعض النواحي اشد فتكا من الحرب) كان هذا الى حد بعيد عنوان ، السنوات الخمس الماضية ، المرحلة التي شهدت في ظل ذلك السلام المصحوب بتنامي العنف في سيناريو سرعان ما يتبدل ، فبدلا من سلاح رشاش بيد مجهول الى سيارة مفخخة او شاحنة مفخخة والمجهول اصبح انتحاريا، لا تزال هويته مجهولة والحصيلة سقوط ضحايا مدنيين لا يزالون محل تقديرات متناقضة في وقت تعتقد منظمة الصحة العالمية عدد القتلى العراقيين يتراوح بين ١٠٤ آلاف و٢٣٠ ألفا اي ما يقارب ١٠ بالمئة من إجمالي عدد السكان ، فيما لقي ٤٠١٨ جندياً امريكياً مصارعهم وقتل أيضاً ١٧٦ جندياً بريطانياً و١٣٣ من جنسيات أخرى اشتركت في القوات متعددة الجنسية .

بعد خمس سنوات من تلك اللحظة التاريخية التي يرى البعض انها تكرر نفسها اليوم ولكن بنحو ايجابي ، ثمة القليل من الفرص لإصلاح ما حصل ، بالتأكيد ان معظمها بيد الحكومة العراقية، وليس بمعزل عنها القوى السياسية وكذلك النخب الثقافية التي عليها ان تعي ان تلك فرصتها ايضا للعودة من جديد فما بدأ قبل خمس سنوات واجه عقبات كثيرة في مقدمتها الإرهاب والعنف ، ومظاهر حمل السلاح وتفشي الفساد ، كلها امور أعاقت إرساء أسس دولة القانون ، ما بدا قبل خمس سنوات لن يكتمل إلا بقيام وحدة وطنية حقيقية .

ما بدأ قبل خمس سنوات، يستلزم بلا أدنى شك استرجاع ما حصل بوعي جديد يعطي زخما لاستعادة اللحظة التاريخية .